

تاريخ النشر: 2025/06/01

تاريخ القبول: 2025/04/23

تاريخ الاستلام: 2025/02/23



جهود الحواضر الجزائرية في التربية والتعليم: تعليمية اللغة العربية بتوات أنموذجا

✍️ سالم مولاي

Salemmoulay7@gmail.com

المدرسة العليا للأساتذة مسعود زغار/الجزائر

The efforts of urban areas in education and teaching: Teaching Arabic in Touat as a model

✍️ Salem Moulay

Salemmoulay7@gmail.com

Higher School of Teachers, Messaoud
Zeggar, El Eulma – Sétif/ Algeria

ملخص البحث

تتربع الجزائر في تكويناتها العلمية على العديد من الحواضر الثقافية التي كان لها الصوت الشهير والذائع بين سائر الحواضر العلمية الأخرى؛ وعلى طليعة تلك الحواضر الحاضرة التواتية التي أسهمت بما أنجبته من لغويين وفقهاء وما أنتجته قرائحهم من مؤلفات وأفكار في إثراء الساحة العلمية، لاسيما إذا تعلق الأمر باللغة العربية التي لا تزال الخزائن التواتية تملأ أدرجها، كما نشرت علم العربية عبر رحلات علمائها لشتى الحواضر العلمية الأخرى، وتصدرهم للتدريس بها في مختلف بلدان الإسلام، وهذا ما يعكس لنا مدى قوة إسهام الحاضرة في نشر العلم وتعليم اللغة العربية، الشيء الذي يجعلنا نقر أن الحاضرة التواتية كانت لها العديد من الإسهامات في مجال تعليمية العربية خصوصاً ونشر العلوم عموماً.

الكلمات المفتاحية: حاضرة، تربية، تعليم، الجزائر، اللغة.

ABSTRACT:

Algeria sits in its scientific formation on many cultural sites that had a famous and popular voice among all other scientific communities. And at the forefront of those civilization, The Touat civilization, with what it contributed of language staff and its jurists, the books and ideas produced by their groups in enriching the scientific arena, especially if the matter is related to the Arabic language, where the Touat treasuries is still full its books, as well as the spread of the science of Arabic through the trips of its scholars to various other scientific cities And issuing them to teach with it in various countries of Islam, and this reflects to us the strength of the civilization's contribution to spreading science and teaching the Arabic language, which makes us admit that the Touat civilization had many contributions in the field of Arab education in particular and the spread of science in general.

Key words: civilization, Education, Teaching, Algeria, language.

1. مقدمة:

منذ أن بزغ فجر الإسلام وأعلن مبادئه لسائر الأنام، والتي كان على طليعتها حث الناس على طلب العلم والاهتمام به غاية الاهتمام، حتى شب التنافس بين صفوف أهل الإسلام، سعياً منهم في نشر العلم وبلوغ الغاية والمرام، وصعودَ درج الحضارة وتخطي معارجها واضعين نصب أعينهم قول القائل:

ومن يخطب الحسنة من غير أهلها بعيداً عليه أن يفوزَ بوصلها.

فنجم عن ذلك التنافس خدمة العلم من قبل تلك الحواضر العلمية التي عُرِفَتْ بنشاطاتها التعليمية والتربوية، وأضافت الكثير من الفنون العلمية التي لم يكن للمسلمين بها سابق عهد، ومن بين تلك الحواضر الحاضرة التواتية الجزائرية، والتي هي جزء من المدرسة المغاربية، إذ ما افتخرت هذه الأخيرة بجهودها وانتاجاتها العلمية، إلا وتجد الجهود التواتية حاضرة على طليعة تلك الجهود، وموروثات علمائها العلمية شاهدة على ذلك؛ حيث ألقوا في الكثير من الفنون العلمية والتربوية، ولا تزال الخزائن التواتية تكتنز الكثير من كنوزهم؛ بعضها حصل منه النفع والآخر لا يزال يصارع أنفاس الحياة منتظراً الأيادي التي تقيه خطر التلف والضياع، هذا وقد كانت إسهامات الحاضرة التواتية بارزة في مجال تكوين العقول وتزويدها بمختلف أصناف الفنون وإشعاعات المفهوم وتربية النفوس، غير أن الغالب في العلوم التي كانت تلقنها الحاضرة التواتية لطلابها تتعلق بعلم الفقه وما يرتبط به من علوم العربية بمختلف أنواعها، ويبقى التساؤل المطروح: ما تعريف الحاضرة التواتية الجزائرية؟ وما هي مظاهر اهتمامها بخدمة علوم الدين عموماً والعربية خصوصاً تلقيناً وتأليفاً؟ ومن هم أشهر أعلامها في هذا المجال؟ وما علاقة الحاضرة التواتية بغيرها من الحواضر العلمية الأخرى تأثيراً وتأثراً؟

2. سيكولوجية التربية والتعليم في الحاضرة التواتية

1.2 مفاهيم حول الموضوع:

* تعريف التربية:

أ- لغة: جاء في معجم لسان العرب ربا الشيء: زاد ونما نمواً، وربيته نميته، وتربى الطفل تدرب على معرفة النمو والتكيف العائلي والاجتماعي في بيئته؛ وتغذى وثقف، ورباه نعى قواه الجسمية والعقلية والخلقية. (منظور، 2009)، قال تعالى: "وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت" ربت أي نمت وازدهرت، وربا الشيء يربو إذا علا، ومنه الربوة وهي المكان المرتفع على سطح الأرض، وأربا له في ثمن السلعة إذا زاده على القدر المتفق عليه.

ب- اصطلاحاً: هي عملية إحداث تغيير في شخصية الفرد في شتي جوانبها الجسمية والعلمية والاجتماعية والخلقية، وذلك حتى يتشكل في الطريق المطلوب على المبادئ المرغوبة. ((دروزة، 2009، الصفحة 44)

*تعريفُ التعليم:

أ- لغةً: جاء في تاج العروس التعليم تنبيه النفس لتصور المعاني، والتعلّم تنبيه النفس لتصور ذلك.

ب- اصطلاحاً: هو إحراز طرائق ترضي الدوافع وتحقق الغايات، وكثيراً ما يتخذ التّعلّم شكل حلّ المشاكل وإنّما يحدث التّعلّم حين تكون طرائق العمل القديمة غير صالحة للتغلّب على المصائب الجديدة، ومواجهة الظروف الطارئة. ((الزبيدي، 2005، الصفحة 129).

*تعريفُ الحاضرة:

أ- لغةً: جاء في قاموس حَضَرَ وحَضِرَ حضوراً وحضارةً ضدّ غاب كاحتضر وتحضر. (ابادي، 2010)

وجاء في المعجم الوسيط الحاضرة: القوم الحضور وحاضرة الشيء القريبة منه؛ والحاضر الحي إذا حضروا، والحاضر القوم النزول على ماء يقيمون به ولا يرحلون (العربية، 2004) والحاضرة خلاف البادية وهي المدن والقرى والريف. (الجوهري، 1997)

ب- اصطلاحاً: الحواضر الإسلامية هي المدن الكبرى والمراكز التي نشأت وتطورت تحت ظل الحضارة الإسلامية. (الفيلاي، 2022)

*تعريف الزوايا:

أ- لغةً: مفردتها زاوية جاءت من أصل انزوى، ينزوي، وفي معناه اتخذ ركناً للعبادة، او هي مأخوذة من الفعل زوى وانزوى، بمعنى انعزل وابتعد، وتعود نسبة التسمية إلى المرابطين والمتصوفة حيث اختاروا الابتعاد عن صخب المدن والعمارة طلباً للهدوء والسكون المناسب للعبادة والاعتكاف. (بلعالم، 2000)

ب- اصطلاحاً: مؤسسة دينية إسلامية ذات طبيعة اجتماعية روحية تهدف إلى نشر العلم والقيام بإطعام الضيوف وعابري السبيل وإصلاح ذات البين. (نسيب، 2003)

*التعريف بالحاضرة التواتية : تتكون منطقة توات من ثلاثة أقاليم : توات الوسطى وتعرف اليوم بأدرار؛ وقورارة وتعرف اليوم بتيميمون؛ وتديكلت وهي عين صالح وما جاورها، وتعتبر من مكونات الكيان الجزائري تقع بجنوب الجزائر، أما عمارتها فتعود إلى عهود متقدمة من الزمن ويدل على ذلك تلك المكانة التي حظيت بها في سطور كتب الكثير من المؤرخين، عرباً وعجماً، عرباً من أمثال ابن حوقل، واليعقوبي والبكري والإدريسي وابن بطوطة وابن خلدون والحسن الوزاني وعبد الرحمن السعدي وأبي سالم العياشي والحاج بن الدين الأغواطي والشيخ أبوراس الناصري وسعيد قدوره الجزائري ... الخ، وأما

الأعاجم فمنهم الرحالة الألماني جيرها ردرولف والمؤرخ الاسباني مارمول، والكاتب الأمريكي جون هنبك، والمؤرخان الفرنسيان مارثان وبرناد سافروا... الخ (جعفري، 2010، الصفحة 35-36).

واختلف في سبب تسميتها بتوات "فحكى انه لما استفتح عقبة بن نافع بلاد المغرب ووصل بخيله لواد نون ودرعه وسجلماسة وبلغ توات سنة 62هـ سأل جنوده عنها (توات) هل هي مواتية لنفي المجرمين فقالوا مواتية، فانطلق اللسان بذلك أنها تواتي، فتغير اللفظ على لسان العامة مع ضرب من التخفيف (توات)، وهذا الرأي ذهب إليه الشيخ عبد الرحمن بن عومر ت: (ق13هـ)، (المبروك، 2009، الصفحة 04). أما الشيخ سيد البكري فيرى أن اسم توات مشتق من الأتوات فيقول: "في سنة 518 هـ حيث اغلب المهدي الشيعي سلطان الموحدين على المغرب بعث قائديه على بن الطيب والطاهر بن عبد المومن لأهل الصحراء وأمرهما بقبض الأتوات، فعرف أهل هذا القطر بأهل الأتوات (البكري، 2009، الصفحة 04)"، ووردت روايات متعددة في معنى هذا اللفظ وعلى الاختلاف في ذلك فان مصطلح توات يطلق على القطر الصحراوي من تيلكوزة بتيميمون إلى عين صالح؛ حيث تمثل هذه المنطقة همزة وصل بين شمال المغرب الإسلامي والجنوب السوداني، فلها أهمية كبيرة بالنسبة للكثير من القوافل التجارية، ما مكّنها من الاستفادة من الإنتاجات العلمية من كتب ومراجع كانوا ينقلونها معهم إلى بلدانهم، وبالاحتكاك مع الكثير من العلماء الذين كانوا يتخذون منها معبراً لقضاء حوائجهم في سائر بلدان الشمال الإفريقي، لاسيما علماء المغرب وشنقيط؛ بل إن بعضهم اتخذ من توات موطناً له، لما وجدوه بها من استقرار الأوضاع وملائمة الظروف الاجتماعية... الخ، لنشر العلم والدعوة إليه، فجعل منها ذلك حاضرة علمية تميزت بمنهجها العلمي في التلقين عن بقية الحواضر، فقصدها الطلاب من كل النواحي إذ كانت لهم قبلة وموردا يشفى غليلهم لما وجدوه في علمائها من وقادة الفكر وشحاذة الذكاء، فجمعوا بين المنقول والمعقول، فلفتوا بإنتاجاتهم وقوة إبداعاتهم العلمية أنظار الحواضر العلمية الأخرى، فكان أهل العلم من سائر المدارس العلمية يقصدون توات بمساجلاتها ونوازلها بحثاً عن الحلول لها كما سنفصل ذلك في العناصر الأخرى.

2.2 سيكولوجية التربية والتعليم في الحاضرة التواتية

*سيكولوجية التعليم : تعتبر التربية والتعليم من أهم الأنشطة الاجتماعية التي شهدت ازدهاراً كبيراً في منطقة توات، وما يدل على ذلك تلك المدارس والكتاتيب والزوايا التي أنشئت في مختلف أرجائها من أجل نشر فنون العلم والمعرفة وتربية الأجيال على الأخلاق والمبادئ الحميدة، فكانت الأسرة بمجرد أن تشب أظافر صغيرها ذكراً أو أنثى ترمي به إلى المدرسة القرآنية محتضنة له ومربية، حتى تتحقق فيه ما توسمته فيه أسرته من أمانى الصلاح فتفتخر به بين الأسر حافظاً لكتاب الله ومتقناً للعلوم الأخرى كالعربية... الخ، وبعد أن يحفظ الصغير القرآن الكريم وبعض من مبادئ الفنون العلمية الأخرى في كل من الفقه والنحو والتصوف...، كمتن ابن عاشر والاجرومية والعشماوية والبيقونية (جعفري، 2010، الصفحة

(116)... الخ، ثم ينتقل بعدها من مرحلة الحفظ إلى مرحلة الشرح بعد أن كان يقتصر على الحفظ دون الفهم، وهذه المرحلة غالباً ما ينتقل فيها طالب العلم قرابة سن البلوغ إلى الزاوية التي تعتمد النظام الداخلي فيتلقى بقية العلوم؛ "ويعمد إلى شرح المطولات في الفقه والنحو والصرف والبلاغة ... الخ، وتكون الدراسة على شكل حلقات متصلة ومتسلسلة وهو ما يعرف بالوقفات"، (جعفري، 2010، الصفحة 116) وهو أن ينطلق الشيخ في بداية درسه مما توقف عنده بالأمس، منظوماً كان المشروح أو منثوراً، وبعد أن ينتهي الشيخ من الشرح يفتح الباب للأسئلة والمناقشة من طرف الطلبة، "وعلى العموم فإن منهجية التدريس في الحاضرة التواتية ومدارسها كانت تراعي في تلقينها سن الطالب وقدرته على تحمل العلم، فغالباً ما تجد المدرسة التعليمية تقسم طلبة العلم فيها إلى ثلاثة أصناف" (جعفري، 2010، الصفحة 138) الصنف الأول : يسمى بالصنف الابتدائي حيث يتلقى فيه الطالب العلوم الابتدائية الأولى من فقه ونحو وسيرة ... الخ، وذلك بعد أن يكمل حفظ مقدمات العلوم كالأجرومية وابن عاشر ... الخ ثم بعد ذلك الصنف الثاني : ويسمى بالصنف المتوسط، فيتلقى فيه الطالب مادة علمية أعمق من التي سبقت مثل وقوفه مع الشيخ على شرح الرسالة لابن أبي زيد القيرواني وفي النحو ملحة الإعراب وقطر الندى للحريري ... الخ، ثم بعد ذلك الصنف الأخير ويسمى بصنف الخاصة وعادة ما يكون عدد طلبة هذا الصنف قليل، وهم المتفوقون من أصحاب الأصناف السابقة، فما أن يدرك الشيخ نباهة الطالب في الصنف الثاني ومقدرته على تحمل الدقيق من العلوم، حتى يخصه دون غيره من الطلبة بشروح أمهات الكتب في مختلف العلوم، مثل مغني اللبيب في النحو والمختصر في الفقه المالكي ... الخ، وغالباً ما يكون الطالب في هذه المرحلة مكلفاً بمساعدة شيخه في تدريس العلوم الابتدائية لأصحاب الصنف الأول من تعليم القرآن وشرح مقدمات المتون... الخ، ثم يأذن له الشيخ بعد أن يجيزه في العلوم التي رسخت فيها قدمه في إنشاء زاويته لتعليم العلوم ونشر المعارف .

*سيكولوجية التربية : لم تكتف الحاضرة التواتية بنشر العلوم وتعليمها لطلبة العلم، بل كان لجانب التربية حظاً كبيراً في المدارس التواتية، لاسيما في مرحلة تلقين العلوم الأولية، فغالباً ما يعتمد الشيوخ على تلقين أسس التربية الحميدة ومبادئها لطلبتهم كتعويدهم على حفظ مقولات الأكابر من الأئمة؛ فتجد الطلبة يرددونها ويتنافسون في التسابق إلى العمل بمضامينها، ومن الأقوال المشهورة التي تجدها تتردد على ألسنة الطلبة في الحاضرة التواتية قول الإمام الشافعي: " قال لي الإمام مالك يا محمد اجعل عملك دقيقاً وعلمك ملحاً فانظر -رحمك الله - ماذا يصلح الدقيق من الملح، إنها قطرات من الملح على أكوام من الدقيق فاعمل. ومما يشيع على ألسنة الطلبة قول بن القاسم المصري الفقيه المالكي "خدمت الإمام مالك عشرين سنة، كان منها ثماني عشرة سنة في تعلم الآداب وأخذت منها العلم في سنتين" (جعفري، 2010، الصفحة 120) ، هذا إلى جانب شرح الكثير من منظومات التربية والأخلاق التي تجد الطلبة يتنافسون في حفظها، مثل نصيحة الهلال ي لسيدي عبد العزيز الهلالي، ولامية بن الورد وهديّة الآداب في جواهر الآداب، للشيخ الجسر المصري (جعفري، 2010، الصفحة 119-120) ... الخ، فيتلقى

الطالب هذه المبادئ التربوية في المرحلتين الأوليتين، أما في المرحلة الأخيرة فيختص الطالب بدراسة كتب التصوف التي تعالج كادورات النفوس وتربيتها، من أمثال حكم ابن عطاء الله السكندري ... الخ، فيجمع الطالب بين تربية النفس وحملها على ما يزينها وهو اقل زاد يمكن إن يتزوده الطالب من مدارس الحاضرة التواتية، على غرار العلوم الأخرى بمختلف أنواعها من قراءات وفقه ونحو وسيرة ... الخ، فهكذا كانت مراحل التنشئة التعليمية والتربوية في الحاضرة التواتية مع بعض الاختلاف في منهجية التلقين والتربية من مدرسة إلى أخرى، وذلك الاختلاف تفرضه البيئة الاجتماعية للمدرسة كمستوى الطلبة من علو الهمة ومدى قدرتهم على التحمل ... الخ.

3. جهود الحاضرة التواتية في تعليم القرآن والعلوم العربية

لقد كان للحاضرة التواتية صوتاً ذائعاً، وشهرة كبيرة في تلقين العلوم وتدرسيها لاسيما القرآن الكريم وما يتعلق به من دراسات، إلى جانب علوم العربية التي حظيت باهتمام كبير من قبل مدارس المنطقة؛ فلم تكن العناية بعلوم العربية في الحاضرة التواتية اقل منها بعلوم القرآن والفقه، إلا أنهم يقدمون مدارس القرآن وحفظه قبل الشروع في علم الفقه والعربية، كونه المنهل الأول الذي يستسقى منه الفقه إحكامه والعربية قواعدها، وسنحاول التشييد لجهود الحاضرة التواتية من خلال التعرض لمظاهر اهتمام الحاضرة بالجانبين:

1.3 مظاهر اهتمام الحاضرة بتدريس القرآن الكريم:

من مظاهر اهتمام الحاضرة التواتية بتعليم وتعلم القرآن الكريم نذكر ما يلي:

* حرص طلبة المنطقة التواتية على تلقي القرآن بطريق الإجازة على المشايخ والمسندين الثقات، فقد وجدت عدة أسانيد تتصل رواها بالثقافات الكبار من القراء من أمثال الشاطبي ... الخ، والمثال على ذلك ما أورده الشيخ عبد الرحمن التنيلاي في فهرسته حين ترجم لشيخه قائلاً: "ومنهم الأستاذ المقرئ الحافظ سيدي الحاج عبد الرحيم بن محمد التواتي ثم التماوي ثم التامرتي توجه للحج ولقي بالقاهرة المقرئ المسند سيدي أحمد ألبقري، فاخذ عنه السبع على طريقة الشاطبية" (التنيلاي، 2009)

* التحفيز على التعليم وتعلم القرآن إذ لا تجد حياً يفتقر إلى معلم قرآن.

* المساهمة في إنشاء الزوايا والكتاتيب من أجل تعليم القرآن ونشر الفنون العلمية ومساعدة الزوايا على أداء دورها العلمي عن طريق وقف الأوقاف عليها وعلى طلبة العلم ... الخ (جعفري، 2010، الصفحة 210).

* بث روح التنافس بين طلبة الكتاتيب والزوايا في التسابق لحفظ كتاب الله والتفقه في دينه، عن طريق تكريم المتفوقين في كل موسم؛ كما كان الأمر بالنسبة لحفظ كتاب الله، حيث يكرمون كل عام أمام

عامة سكان الحي في منظر بهيج، إضافة الى تهنئة ولديهم وإنشاء الولائم لهم وإكرامهم غاية الإكرام، مما يجعل الشوق تشتغل ناره في قلوب الطلبة لحفظ كتاب الله لينالوا شرف الإكرام.

* كثرة التأليف التي تخدم القرآن وتتناول الدراسات القرآنية عموماً؛ وتسهل على الطلبة فهم معاني القرآن والوقوف على مغلفاته ومن بين تلك التصانيف التي تعكس اهتمام علماء الحاضرة التواتية بهذا المجال نذكر:

أ.. منظومة في التفسير من 114 بيتا للشيخ محمد بن بادي الكنتي

ومطلعها: (أحمد، 2010، الصفحة 81-82)

العلم بالتفسير ما يبحث عن أحوال أنواع القرآن فاحفظن

ب. "مختصر الدر المصون في إعراب الكتاب المبين" (حسان، 2010، الصفحة 113) للشيخ سيدي عبد الرحمن بن عومر التينلاني

ج. تفسير الشيخ المغيلي وقد حقق منه الأستاذ خدير المغيلي سورة الفاتحة.

والكثير من المؤلفات التي ساهم بها علماء توات في مجال الدراسات القرآنية وهي في مجملها على صنفين: منها ما يتناول مقدمات علوم القرآن التجويد، وكيفية ضبط المتشابه من القرآن الكريم... الخ والآخر منها يتناول العلوم الخاصة بالمتقدمين من طلبة العلم مثل التفسير... الخ وقد منّا نماذج من تلك المؤلفات ولا يسعنا المقام لذكر الباقي.

2.3 مظاهر اهتمام الحاضرة التواتية بتعليم علوم اللغة العربية:

لقد كان للحاضرة التواتية بأقاليمها الثلاثة قورارة وتوات الوسطى و تيدكلت في علوم العربية جهودا لا تقل عن تلك التي بذلتها في تعليمها للقرآن الكريم، و أقرارنا بجهودها في مجال الدراسات القرآنية هو جزء كبير من اهتمامها بتعليم اللغة العربية التي تستوفي منها مادتها اللغوية، وقد تنوع هذه الجهود إلى نوعين النوع الأول: تمثل في تكوين الطلبة وتدريبهم على فصاحة اللسان والنوع الثاني تجسد في نشر اللغة العربية عبر إسهامات علماء الحاضرة مما أنتجته قرائهم من أفكار تمس مواضع اللغة العربية، وهذا النوع الأخير بدوره انقسم إلى قسمين منشور ومنظوم، والمنظوم أكثر تواجدا من المنشور وسنحاول التعرض لهذا الإسهامات مجملة وهي كالآتي:

أ. مختصر النوادر للشيخ عبد الرحمن بن عومر التينلاني.

ب. قصيدة في غريب مفردات اللغة (الشمقمقية لأبي العباس أحمد بن الونان) وهذه القصيدة مطبوعة.

ج. قصيدة شعرية في علم العروض على بحري البسيط والمسرح لمحمد بن المبروك البدوي (جعفري، 2011، الصفحة 37).

د. نضار الذهب في كل فن منتخب، وهو ثلاثة أجزاء، للشيخ سيد المختار بن احمد الكنتي (الكتاني، 1981).

هـ. مؤلفات محمد بن بادي الكنتي الأدبية واللغوية والتي لاتزال تترنح من بين المخطوط والمطبوع نذكر من بينها (احمد، 2010، الصفحة 77-78):

مقدم الغي المصروم على نظم ابن اجروم.

و. جهود لشيخ أحمد الزجلوي ومن أشهرها ألفيته في النحو والتي سماها "ألفية الغريب" (جعفري، 2010، الصفحة 142)

ز. إسهامات محمد بن أب المزمري والذي يعد من أبرز اللغويين الذين زخرت بهم الحاضرة التواتية وافتخرت وكان يلقب بالعروضي لاكتشافه لبحر المضطرب ولإسهاماته الكبيرة في هذا المجال وتنوعت إسهاماته ما بين المنظوم والمنثور في المجالين اللغوي والأدبي وغلب عليها جانب النظم لسهولته عنده ومما أثر عنه قوله متحدثا بنعمة ربه:

لئن ساد بالإقدام زيد وبالزكي تفرد إياس وبالجود حاتم

فإن شعاري صنعة الشعري والذي ينازعني فيه من الناس ظالم (جعفري، 2011، الصفحة 65)1.

وقد رتب إسهاماته في مجال اللغة والأدب واللغة عن الثلاثين مؤلفا (حسان، 2010، الصفحة 116)2، فضلا عن تلك التي طالتها يد الإهمال في خزائن والمخطوطات الأخرى التي لم تحظ بالتحقيق والاكتشاف بعد (بلعالم، 2011، الصفحة 11)3؛ ونذكر من بينها ما يلي:

*نظم على مقدمة بن اجروم ومطلعة:

قال ابن اب واسمه محمد الله في كل الأمور احمد

مصليا على الرسول المصطفى واله وصحبه ذوي التقى

وبعد فالقصد بدا المنظوم تسهيل منثور بن اجروم

*وله منظومتان أخرياتنا على مقدمة بن اجروم؛ الأولى سماها نزهة الحلوم في نظم منثور ابن اجروم وتضم مائة وأربعين بيتا.

*غاية المقدم على وقاية المتعلم من اللحن المثلث وهو كتاب ضخيم في النحو وبه مادة نحوية دسمة.

*منظومة في النحو تحتوي على مائة بيت ومطلعها:

ملح كلام النحو بلم لن سوف نون وبالأمر سم

*منظومة في علم التصريف ومطلعها:

العلم بالتصريف علم فيه عن أبنية الكلم يبحث وعن.

صحتها أعلاها الاسم فعل مربع العين مثلث الفاصل.

وجعفر سفر جل غير المزيد فهو من السباعي دوما لا يزيد.

*منظومة في علم المعاني ومطلعها:

فن المعاني مبصر المعاني مسالك الإعجاز في القران

علم به يبحث عن حال الكلام العرب من طباق مقتضى المقام

*منظومة في علم البيان ومطلعها:

علم البيان ما يبين المعنى بطرق تسنو وبعض أنسي

دلالة الألفاظ على التمام موضعها وضعية وإذ يرام

*منظومة في البديع ومطلعها:

علم البديع في مستحسن الكلام بعد الوضوح ورعاية المقام (احمد، 2010، الصفحة 78)

*منظومة في الخط والرسم والإملاء.

والثانية على البحر الطويل سماها "كشف العموم على مقدمة بن أجروم" وافتتحها بقوله:

لك الحمد يا الله يا من تفضلا ومن علينا بالبيان وأجملا.

وأهدي صلاة مع الكريم تحية إلى من أتى بالحق للخلق مرسلا.

محمد الهادي الأمين واله وأصحابه والتابعين على الولا.

وبعد فذا نظم يروق فمن يذق جناه الى الكتب الكبار توصلا.

*وله أرجوزة في علم العروض سماها "روائق الحلل في ذكر ألقاب الزحاف والعلل ومطلعها:

قال عبید ربه محتسبا محمد المز مري نسبا

الحمد لله الذي قد مهد لنا عروض دينه وأرشد

*وله قصيدة عروضية على بحر المضطرب وتضم ثلاثة وثمانية بيتا (الماد)

*منظومة في أسماء البحور ومفاتيحها ومطلعها (الماد):

بدا للطويل الطيب الذوق تمثيل فعولن مفاعلين فعولن مفاعيلن .

والمديد العزب فيه يقول القائل فاعلاتن فاعلاتن فاعلات.

*وله عدة إسهامات في مجال الأدب نذكر منها (جعفري، 2011، الصفحة 64):

(1) تخميسه لقصيدة ما للمساكين لام هاني.

(2) شرح الشمقمقية.

(3) شرح المقصور والممدود لأبن دريد.

الأبيات المعكوسة التي تقرأ من اليمين إلى اليسار والعكس.

شرح لقصيدته التي تعارض الحريري.

4. الحاضرة التواتية وعلاقتها بالحواضر الأخرى في مجال تعليمية اللغة العربية 0

ارتبطت الحضارة التواتية بغيرها من الحواضر العلمية الأخرى ارتباطا وثيقا دعتة ضرورة الأخذ والعطاء العلمي والتبادل الثقافي بين المجتمعات، لاسيما وأن الحاضرة التواتية تحظى بموقعها الاستراتيجي الذي يربط دول الشمال الأفريقي فيما بينها، الشيء الذي مكّنها من أن تستفيد من أفكار العلماء العابرين لقطرها، وتتطلع على إنتاجاتهم، وتعرف من مؤلفاتهم، فزهت حدائق العلم في زواياها ومدارسها حتى غدت حاضرة علمية راسخة القدم في علوم القرآن والدراسات العربية، فأثرت وتأثرت بالعلاقات بينها وبين سائر الحواضر العلمية الأخرى نجدها تتجلى في ثلاثة مظاهر كما يلي:

1.4 مظاهر تأثر الحاضرة التواتية بالحواضر العلمية الأخرى:

تأثرت الحاضرة التواتية بغيرها من الحواضر العلمية الأخرى حيث أخذ اجل أعلامها وفحولها أغلب فنونهم العلمية من المدارس العلمية المجاورة في مرحلة الطلب، مثل الحاضرة السجلماسية وجامع القيروان والزيتونة وجامع الأزهر... الخ، وخير نموذج على ذلك عبد الرحمان التيليلاني الذي أخذ علوم العربية وما يتعلق بها من الحاضرة الفاسية، والنحوي العروضي محمد بن أب المزمري الذي انتقل بين عدة حواضر، ومن بينها سجلماسية فحضر مجلس عالمها اللغوي أبي إسحاق سيدي إبراهيم (salah, 1975، الصفحة 14-15) فهؤلاء الذين تتلمذوا على يد علماء مختلف الحواضر نقلوا العلوم التي تلقوها على مشايخهم هناك إلى الحاضرة التواتية، ومن بينها علوم العربية إضافة إلى العلماء الذين استقروا بها من داخل الحواضر الوطنية مثل تلمسان... الخ، ومن خارج الوطن مثل الشيخ مولاي سليمان بن علي الإدريسي (670هـ) الذي ولد بفاس ودرس بها على يد الشيخ بن حزم الذي أمره بالذهاب إلى توات والاستقرار بها، فنزل بتنيلان ثم انتقل إلى اولاد عيسى ثم استقر به الأمر بأولاد وشن، حيث أسس بها

زاويته التي قبله لطلبة العلم من كل مكان وملجأ لعابري السبيل، وكذلك الشيخ ميمون بن عمر بن محمد الباز (ت901هـ) (التمنيطي، 2011، الصفحة 30-32)، وهو أبو العائلة البكرية بتوات حيث قدم مع أخيه التوهامي من فاس بالمغرب بعد أن تتلمذ على يد الشيخ الأمام ابن غازي المكناسي، وكان مجيئه في نهاية القرن التاسع الهجري؛ ونزل بتمنيط عند أولاد محمود، وهذا غيض من فيض أولئك العلماء الذين أستقر بهم المقام ببلاد توات، واتخذوا منها مستقرا لهم لنشر علومهم ومعارفهم، كما أن الحاضرة تأثرت بأفكار الحواضر الأخرى من خلال الرحلات العلمية التي كان يحتك بها علمائها بعلماء الحواضر الأخرى كالحج (جعفري، 2010، الصفحة 12)... الخ على غرار القوافل التجارية التي كانت تتخذ من الحاضرة التواتية معبرا لها لبقية بلدان الشمال الأفريقي؛ فاستفادت منها وتأثرت بأفكار علماء الحواضر الأخرى التي ضمنوها كتبهم فهذه بعض مظاهر التأثيرات التي نالت الحاضرة التواتية من الحواضر العلمية الأخرى عموما، وأما بخصوص العربية وعلومها فقد تأثرت تأثرا ظاهرا بغيرها؛ حيث اعتمدت في التدريس على الكثير من إبداعات علماء الحواضر الأخرى، باعتمادها على تدريس منظومة الأجرومية في مقدمات النحو ابن أجروم الصنهاجي النحوي؛ ملحمة الإعراب للحريزي وألفية ابن مالك... الخ وعلى كل فتبقى الحاضرة التواتية بما تحمله من علوم في مصنفات علمائها وتنتهج من مناهج في تلقين علومها تعكس تأثيرها وانفتاحها على بقية الحواضر وما أشرنا إليه جزء من كثير من النماذج.

2.4 تأثير الحاضرة التواتية في غيرها من الحواضر العلمية الأخرى:

لقد كان للحاضرة التواتية دورا كبيرا وتأثيرا بالغا في الحواضر العلمية الأخرى لما كانت تترع عليه من مكانة علمية مكنته من ذلك وتتجلى مظاهر تأثيرها في الحواضر العلمية الأخرى فيما يلي:

- تكوين العديد من طلبة العلم لاسيما طلبة علم العربية وحفظ القرآن الكريم الذين كانوا يعدون بالآلاف من شتى بقاع الشمال الأفريقي خصوصا الدول المجاورة مالي والنيجر وغانا وساحل العاج... الخ ولا يزالون إلى حد الساعة يترددون على زواياها ومدارسها ويغرفون من معين علومها.

- تأثير الفكر العلمي التواتي في الحاضرة الأخرى من طريق الرحلات العلمية التي كان يجوبها علمائها خارج الوطن مثل: الشيخ عبد الرحمان التينلاني الذي بالمدرسة المصباحية وتصدر للتدريس بجامع القرويين (جعفري، 2010، الصفحة 13) إضافة إلى جهود الإمام المغيلي الذي فتح على يديه الشمال الأفريقي مالي النيجر... فأسس في مالي مسجده المشهور بمسجد الكرامة وزاول بها تعليم القرآن الكريم والعربية (جعفري، 2010، الصفحة 96) وعن المغيلي يقول توماس ارنولد: إن المغيلي أحد دعاة الإسلام الذين بعثوا إلى كانوا وكشنا (مدن تتواجد في جنوب إفريقيا)، وكان بلا شك أستاذا مثقفا ذلك هو محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي نبغ حول سنه 1500م، ومن الممكن أن تكون الهوصة قد تأثرت في إسلامها بهذه الموجة الكبيرة من السيطرة الإسلامية (ارنولد، 1957، الصفحة 278)، ومثل جهود محمد بن أب المزمر الذي خصص جزءا كبيرا من حياته في تدريس علوم العربية والفقه خارج الوطن مثل موريتانيا.

3.4 تأثير الحاضرة التواتية في الحواضر العلمية الأخرى:

عبر إنتاجاتها العلمية من مؤلفات ... الخ التي تواجدت في الكثير من البلاد الإسلامية ونذكر منها (جعفري، 2010، الصفحة 40-41):

- مكتبة أحمد بابا بتنبيكتو (مالي) بها 127 مخطوط من تأليف علماء توات.
- مكتبة ماما حيدرة (مالي) وبها 84 مخطوط تواتي.
- مكتبة غانا بها 31 مخطوط.
- مكتبة شنقيط ودانا يهما 08 مخطوطا.
- مكتبة كادونا أبادانا (نيجريا) 06 مخطوطا.

وغيرها من الخزائن الإسلامية في مختلف الحواضر، والتي تتواجد بها العديد من الطروس العلمية لعلماء توات حيث ثبت لهم بذلك إسهامهم في نشر مختلف العلوم، لاسيما تعليم العربية بما أنتجته قرائهم ودونته أناملهم من سطور ومسائل وهذه إشارة إلى بعض مظاهر التأثير والتأثر بين الحاضرة التواتية وغيرها من الحواضر العلمية الأخرى، لتثبت قيام العلاقة الوطيدة فيما بينها والحواضر الأخرى والعلاقة أوسع ما حوته هذه الأسطر.

5. خاتمة:

وفي الأخير نتوصل إلى جملة من النقاط والتي نستخلصها من خلال خوضنا في ثنايا هذا البحث نذكر من جملتها:

- (1) تعتبر الحاضرة التواتية واحدة من الحواضر العلمية التي ضربت بجذورها في قدم التاريخ حيث تحدث عنها أكابر المؤرخين مثل ابن بطوطة وابن خلدون، الحسن الوزاني، سعيد قدوره، ابن نوفل ... الخ
 - (2) الموقع الاستراتيجي للحاضرة التواتية واستقرارها السياسي والاجتماعي جعلها تستقطب العديد من الكفاءات العلمية الذين جعلوا منها منبرا لنشر معارفهم وعلومهم.
 - (3) ساهمت الحاضرة التواتية بإنتاجاتها العلمية وما كونته من علماء في تعليم علوم اللغة العربية وما يتعلق بها من فنون.
 - (4) ارتبطت الحاضرة التواتية بغيرها من الحواضر العلمية من داخل الوطن وخارجه ارتباطا وثيقا تمثل في علاقة الأخذ والعطاء العلمي.
 - (5) تأثرت وأثرت الحاضرة التواتية بغيرها من الحواضر العلمية لاسيما الحواضر المجاورة مثل القرويين والزيتونة ... الخ.
- اقتراحات الدراسة:

ونوصي في خاتمة البحث بمجموعة من الاقتراحات والتوصيات التي تعتبر تكملة لما توصلنا اليه من نتائج ونكر من بينها:

- 1- ضرورة الاهتمام بالموروث العلمي لعلماء الجزائر واخراجه من خزائن المخطوطات.
- 2- تشجيع الباحثين على خدمة الموروث العلمي في بحوثهم وملتقياتهم العلمية لتعريف به.
- 3- انشاء مخابر خاصة تعمل على عصرنه وتطوير جهود علماء اللغويين القدامى وأساليهم في تعليم العربية وفق أحدث المستجدات في هذا الميدان.

المراجع:

- منظور، ا. (2009). معجم لسان العرب. القاهرة: دار الكتب العلمية.
- ابادي، ا. (2010). قاموس المحيط 42: دار الكتب العلمية.
- الجوهري (s.d.). قاموس الصحاح. القاهرة: دار الكتب العلمية.
- العربية، م. ا. (2004). معجم الوسيط. القاهرة: مكتبة الشروق.
- الفيلاي، ع. ا. (2022). حواضر المغرب الاوسط. الجزائر: دار الهدى.
- بلعالم، م. ب. (2000). اهداف نشأة الزوايا وواقعها في المنطقة الملتقى الوطني 1 للزوايا. ادرار ال
- نسيب، م. (2003). زوايا العلم والقراءة في الجزائر. بوزريعة: دار الفكر العربي.
- (s.d.). المخطوط الموجود بخزانة ابا عبد الله. ادرار.
- salah. (1975). -pjulsolleeatd'algerijl'ojsisd'hnn_salah-rapport psentè-jla chambre de commerce. .
Alger.
- احمد، ا. ح (2010). Dans. من اعلام التراث الكنتي. (pp. 81-82) الجزائر: دار الغرب.
- ارنولد، ت (1957). Dans. الدعوة الى الاسلام. (p. 278) مصر: مكتبة النهضة المصرية.
- البكري، م. ب. (2009). درة الاقلام في أخبار المغرب قبل الاسلام. الجزائر.
- التمنيطي، م. ب. (2011). Dans. درة الاقلام في اخبار المغرب بعد الاسلام. (pp. 30-32) الجزائر.
- التنيلاني، ع. ا. (2009). فهرست. الجزائر.
- الزبيدي، م (2005). Dans. تاج العروس من جواهر القاموس. (p. 129) الجزائر: دار الهدى.
- الصافي، ا. ا. (2010). Dans. ابحاث. (pp. 35-36) الجزائر: مقامات للنشر والتوزيع.
- الكتاني، ع. ا. ف. م. (1981). بيروت: دار الغرب الاسلامي.
- المبروك، م. ب. (2009). نقل الرواة عن ابداع قصور توات. الجزائر.
- بلعالم، ا. (2011). التعريف بتاريخ توات. الجزائر.
- جعفر، م. (2010). مقالات و ابحاث حول تاريخ توات. الجزائر: دار الكتب العربي.
- جعفري، ا. (2011). Dans. رجال في الذاكرة. (p. 37) الجزائر: دار الغرب.
- حسان، ا. ب (2010). Dans. الشجرة المجانية في التعريف بالاسرة البلبالية. (p. 113) الجزائر: دار هومه.
- دروزه، أ. ن (2009). Dans. النظرية في التدريس و ترجمتها علميا. (p. 44) مصر: دار الشروق.
- مدن تتواجد في جنوب افريقيا. (s.d.).